Zakiya Beevi
IInd BA Arabic & Islamic history

ثُرَيّـــا - تَلأْلأَتْ ثُـــمَّ غَابَـــتْ

إنتقلت كملى ثريّا - الأديبة الشهيرة الّتي اخرجت اللألئ و المرجان من الادب بقلمها التاحر إلى جوار ربّها في عمر يناهز الخامس و سبعين (ماي ٣١). كانت حياتها "شجرة رمّان تفوح منها رائحة الحُب الطّاهر كانت كملى ثريّا صاحبة القلم الرشاقه التي حاولت أن تكتشف أعماق الحلاوة في العلاقات الإنسانيّة الوطيدة.

ثريّا رفعت أدب كيرلا إلى مستوى عالمي حتى رشّحت لجائزة نوبيل وإنها كانت عصورا تغنى غناء الحبّ والمودّة. و تمنت عالما كبيرا يعيش الناس فيه على الاخوّة و السلام، وقد نالت مؤلفاتها ايجاباً و قبولا داخل الهند و خارجها.

و حياتها الأدبيّة هي رحلة طويلة تبحث عن سرّ الوجود والجمال. ولم تكن ثريّا متحدّثة باسم مذهب ولافئة. بل كانت كاتبة رفعت عزّة المرأة قامة بجانب حرية المرأة في المجتمع بكلّ مالها وما عليها. عقيدتها الصدق والحبّ و الجمال.

اتخذت ثريّا الإسلام محور حياتها بعد أن تركت عبادة الأوثان والأصنام. إسلامها يحمل رسالة إنسانية حيث إختارت مذهبا يرحّبُ بالذّات و يحمل أيضًا مقاومة لثقافة التي حقاحقه الحياة و يحرّض على إعطاء كلّ ذي محرّما. هي عبرت الأنوثة بكلّ قوّاتها وجمالها. بل نقدت شيئا ترى اللأراملة الرجل الذي يتنحد المرأة أمة مملوكة وآمنت أن الادب هو الإستماع إلى صوت الرُوح وأغنيتها.

كانت ثريّا شخصية نادرة فيها الطفولة وعجلة المرهقة ونشاط شباب وحُبّ الأمومة. ولا نبالغ إذا قلنا إنه ثريّا صورة حيّة للحب العذب تكل التي المزعومة عنيفة جدّ - القصّة جميع مؤلفاتها كانت ثورة الجدار القويّ بين الإنسان و علاقات المجتمع لكنها إعتقدت بالعفة الصادقة والحياة فن إلاهي - ثريّا عرفت هذا الحق الواضح.

في حياة ثريّا تمسة صوفيّة بريئة. الحب سبقت بأن تعرف بأنّ الحب ليس إنساني فقط، بل هو إلاهيٌ روحانيّ - مؤلفة ثريّا يا الله مثال أحسن لذالك.

أدل الستار على حياة مزوّدة بلحْنِ الحبُ و حملت رسالات إنسانية نبيلة واصبحت حياتها الفنا الجميلا فيه تعبير صادق عن إمرأة أحبّت كل شيئ في الوجود.

C.P. Aboobacker, Reader, Research Dept of
Arabic & Islamic history

النهضة العربية في العصر الحديث و بدايتها

تطرا على حياة الأمم تغيرات تنقلها من حال إلى حال، فإذا كان هذا التغير من سيئ إلى حسن و من ضعف إلى قوة سمي ذلك نهضة، و عكسه الانحطاط. و النهضة الأدبية هي ارتقاء فنون الأدب أو بعضها فناً و مضموناً. و لقد عرفت ما أصاب الأمة الإسلامية و منها الشعوب العربية من تأخر أرحق حياتها و أضعف مصادر الفكر فيها، وبخاصة في ميدان الأدب لكنها في آخر القرن الثاني عشر و مطلع الثالث عشر للهجرة بدأت تستفيق فمتى بدأت النهضة الحديثة في العالم العربي و الإسلامي؟

إن أول نهضة قامت في العالم الإسلامي هي تلك التي قادها الإمامان محمد بن عبد الوهاب و محمد بن سعود رحمهما الله سنة ١١٥٧هـ و كانت نهضة دينية رفعت مستوى الفكر و السياسة و الأدب، و عم نفعها جزيرة العرب وغيرهولنا حديث عنها عندما نتحدث عن الأدب السعودي إنشاء الله

وفي عام ١٢١٣ هـ دخل الفرنسيون مصر وجاءت الحملة الفرنسية تحمل معها – إلى جانب عدتها و عتادها العسكري – مطبعة و علماء فرنسين لخدمة أهدافها الصليبية فلما استقرت أقدامهم في القاهرة افتتحوا بها معهداً علمياً و مدرسة و مكتبة كونوها من الكتب الفرنسية التي أتوابها، وما ضموا إليها من كتب عربية جمعوها من خزائن الكتب في المساجد، كما افتتحوا مطبعة كانت تطبع بالعربية و الفرنسية و كانت تخرج صحيفة سميت الحوادث، أو التنبية، قام على إخراجها الأديب المصري إسماعيل الخشاب. من هنا عد دخول الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ بداية بعض المؤرخين النهضة في مصر

و جعل بعضهم بداية حكم (محمد علي) مصر سنة ١٢٢٠هـ البداية الفعلية للنهضة، ذلك أن (محمد علي) كان طموحا فأراد أن يكون في مصر دولة قوية تقوم على أساس علمي في جميع شؤونها العسكرية و الاقتصادية، لذا أقبل على إنشاء المدارس العسكرية والزراعية و نحوها كما أكثر من إرسال البعوث إلى الخارج، و من هنا وصفت نهضة مصر بأنها نهضة علمي

أما في بلاد الشام فإن هذه النهضة لم تبدأ إلا في عام ١٢٤هـ و ذلك حين فتح النصارى – الذين عرفو بالمبشرين (١) – مدارسهم بها

فاقبل عليها أبناء نصارى الشام، ولعدم وجود مدارس أخرى تدرس العلوم العصرية فإن بعضاً من أبناء المسلمين قد لحقو بتلك المدارس. و كانت بلاد الشام تحت الحكم العثماني الذي سرت فيه عوامل الضعف أمام توثب الغربيين للقضاء على الخلافة العثمانية رمز وحدة المسلمين آنذاك فوقعت الشام فريسة في أيدي نصارى الغرب

ولحرص هؤلاء النصارى على استمالة الشامين إلى مدارستهم تدريس، وكان الأدب العربي مما يدرس لغة استخدموا اللغة العربية في تلك المدارس، ولكن بالأسلوب الذي يخدم مصالحهم لهذا وذاك نشط الأدب في بلاد الشام قبل أن يتحرك في البلاد العربية ولأجل ذلك وصفت النهضة في الشام بأنها نهضة أدبية ولكن الذين يقودونها و يوجهها هم النصارى في بداية الأمر، و على غرار الحملة الفرنسية أوجد هذا شعوراً بالخطر أيقظ الناس إلى حدما

نهضة الحديث - عوامل مهمّة

سبقت مصر و الشام البلاد العربية الأخرى في بداية النهضة الأدبية وقد عرفت كيف بدأت النهضة فيهما و متى بدأت. وقد أخذت هذه النهضة تنمو حتى بلغت بعد منتصف القرن الرابع عشر مبلغاً حسناً. وكان لابد لهذه النهضة من عوامل وأسباب تدفع بها -:إلى الأمام، فمن أهم هذه العوامل

الصحافة

تعد الصحافة من أهم العوامل التي تساعد على نمو الأدب وارتقائه على ذلك ذلك أنها الميدان الذي يمارس فيه أرباب الأقلام فنهم. زد ما للصحيفة من رواج الأسباب أهمها تنوع المادة، ورخص الثمن، ونحو ذلك. لهذا كانت الصحافة من أهم العوامل في نهضة الأمم في كافة جوانب حياتها، و بخاصة الأدب. ولقد عرفت الصحافة- أول ما عرفت في البلاد العربية - في مصر حين أصدر محمد علي صحيفة الوقائع المصرية"، وكانت تهتم في بداية حياتها بأحوال المجتمع" تاريخاً و أدباً. ثم صدرت صحيفة "الأخبار" في لبنان، و كانت حمومية أيضاً، ولم يكن لها اهتمام بأحوال امجتمع العربي. و في التونسية و كانت حكومية أيضا و كان إسهام "تونس صدرت "الرائد هذه الصحف في الحياة الأدبية ضئيلاً و متفاوتاً. ثم بدأت تصدر بعض الصحف الخاصة مثل "مرآة الأحوال" التي أصدرها في الآستانة (رزق حسونة) و في الأستانة أيضا أصدر (أحمد فارس الشدياق) صحيفته. الأسبوعية "الجوانب"، و بدات هذه الصحف تهتم بأحوال

المجتمع، وبخاصة في الأدب واللغة والاجتماع. ثم نشط النصارى في لبنان وأخذو في إصدار الصحف و المجلات منها "الجنان"، و "المقتطف" التي أصدرها (صرنف ونمر) في بيروت أولاً ثم استمر صدور هما في مصر.

ونظراً لسوء الأحوال في الشام، وحدوث بعض الاضطرابات فقد اتجه بعض المثقفين إلى مصر، و بها أصدروا صحفهم مثل "الكوكب الشرقي" و "الأهرام" و "الوطن". ولأن أرباب هذه الصحف من النصارى لم يكن لها شأن في ميدان لإسلام حتى صدرت بعض الصحف والمجلات التي اهتمت بشؤون الإسلام و المسلمين مثل "نور الإسلام" و "المنار"، و "الهدي النبوي" و "مجلة الأزهار". أما أهم تلك اصحف و المجلات في ميدان الأدب: ف "الرسالة" و "الثقافة" و "الأزهار" و "الهلال". وفي الربع الأخير من القرن الرابع عشر من الهجرة بدأ الاهتمام باللغة والأدب يضعف في الصحف والمجلات، وذلك لأسباب عدة أهمها: انصراف الناس عن القراءة الجادة، ورغبتهم عن الموضوعات الرصينة، إلى ألوان من التسلية و التزجية.

المدارس و الجامعات

جاء العصر الحديث والعالم العربي كله يعيش في جانب التدريس على ما تقدمه له المدارس البدائية (الكتاتيب)، ثم حلق الدرس على العلماء. أما الكتاتيب فكانت تدرب على القرءة والكتابة و بخاصة قراءة القرآن الكريم، كما كانت تعنى بتحفيظ القرآن الكريم إلى ما تقدمه من مبادئ يسيرة في الخط والإملاء والحساب ونحو ذلك. وما حلقات الدرس فتلك التي كان يجلس فيها العلماء لطلاب العلم في المساجد و بيوت العلماء وأهم تلك الحلق ما كان في الجامع الأزهر بمصر، وجامع بني أمية في دمشق وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس، والحرمين الشريفين بمكة المكرمة و المدينة المنورة، والمسجد الأقصى، وجامع بغداد والجامع الأحمدي بطنطا، و غيرها.

و حين عزم (محمد علي) على النهوض بمصر لم يجد من أبنائها من يمكن الاعتماد عليه في ميدان التعليم غير الأزهريين، ومن هنا عد الأزهر صاحب الفضل الأول على الحركة العلمية في مصر. ذلك أن الذين قاموا بالتعليم في المدارس التي افتتحها محمد علي كان جلهم من الأزهريين، و البعثات التي أرسلها إلى الخارج كان أفرادها من طلبة الأزهر. و مع أن التعليم قد بدأ في بلاد الشام وبخاصة في لبنان على يد المبشرين قبل أن يبدأ التعليم النظامي بمصر، إلاأن مصر أستطاعت أن تسبق الشام و غيره في ميدان التعليم، وذلك بسبب الاهتمام الذي لقيته المدارس من (محمد علي حيث أكثر من افتتاحها واستقدم لها المعلمين من الغرب، وجعل لهم مترجمين يترجمون قولهم للطلبة، واقتتح مدارس متخصصة، مثل مدرسة

الزراعة، و مدرسة الطب، و مدرسة الألسن، فازدهر التعليم على يده حتى بلغ في عهد (إسماعيل) نسبة فاقت فيها مصر كثيرًا من البلاد المتقدمة.

أما الأزهر فقد ازدهر فيه التعليم ولكن على النظام القديم، حتى عمل بعض شيوخه على تنظيم الدراسة فيه، فافضت جهودهم إلى وضع انظمة حديثة للتعليم في الأزهر، وصار يتكون من ثلاث مراحل. إبتدائي، وثانوي، وعالي و قسم التعليم العالي إلى ثلاث كليات: كلية اللغة العربية، وكلية الشرقية، وكلية الشريعة، و كلية أصول الدين، وأهم أولئل الرجال الذين عملو على إصلاح الأزهر الشيخ/ محمد عبده رحمه الله. و يعد الأزهر الآن من الجامعات الحديثة و فيه جميع الكليات التي تشتمل عليها الجامعات خلا كلية الحقوق و كلية الآداب لإغناء كلية الشريعة و كلية اللغة العربية عنهما.

وأنشئت في مصر كلية دار العلوم، وقصد بعض الناس من نشائها أن تكون منافسة للأزهر الذي رفض- إذذاك- قبول' التعليم الحديث، فكونت دار العلوم تكوينا حديثا جمعت فيه ما لم يجتمع في الأزهر – حين ذاك – وقد ضمت الآن لجامعة القاهرة كما ضمت مدرسة الألسن إلى جامعة عين شمس. ثم دخل العالم العربي عصر الجامعات، فأنشأت مصر جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة)، ثم تتابع فيها إنشاء الجامعات في القاهرة والإسكندرية، وأسيوط، والمنصورة، وغيرها. وأنشئة جامعة دمشق ن، ثم تتابع إنشاء الجامعات في العالم العربي، كما بزم بعد ذلك انتشرت المدارس الإبتدائية، والمتوسطة، والثانوية، والمعاهد المختلفة،في المدن و القرى في جميع البلاد.

المطابع

ظهرت المطابع في الغرب في شكل بدائي قبل ما ينيف على خمسة قرون وأخذت في التطور فاستفاد منها الغربيون فوائد جمة. ولم تعرف البلاد العربية المطابع إلا مع الحملة الفرنسية التي دخلت مصر سنة ١٢١٣ هـ حيث أحضرت معها مطبعة تطبع بحروف عربية، و أخرى فرنسية واستولى(محمد علي) على تلك المطبعة، أو اشتراها ثم عمل على تطويرها فاستقدم لها أحدث الأجهزة والحروف، و عني بعملها وسميت المطبعة الأميرة. واختار من العلماء مشرفين عليها وموجهين للعمل فيها، فطبعت كثيراً من أمهات الكتب مثل كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني و كتاب

العقد الفريد" لابن عبد ربه، ومقدمة تاريخ ابن خلدون، و كثيراً" من أمهات الكتب في التفسير و الحديث واللغة والأدب و التاريخ و غير ذلك، ولم تزل تتطور حتى ضمت إلى دار الكتب. وأنشأ النصارى في الشام بعض المطابع، فعنوا فيها بكتب دينهم و بعض كتب الأدب واللغة، وأخذت المطابع تتطور و تنمو في البلاد العربية كلها جمعاء، لكن كانت لبنان هي المتقدمة في هذا الميدان حتي أرهقتها الحروب الأهلية والغزو اليهودي، فأحرقت وخربت كثير من المطابع، الأمر الذي ترك أثراً واضحاً جلياً في تجارة الكتب.

دور الكتب

جاء العصر الحديث والكتب العربية موزعة في خزائن الكتب في المساجد و بيوت العلماء و محبي جمع الكتب، وكانت الدولة التركية قد نقلت كثيرا مما حوته خزائن الكتب في المساجد و غيرها و حين تولى (علي مبارك) وزارة المعارف في مصر التقت رغبته في لمّ شتات الكتب برعبة (الخديوي) الذي كان قد كون مكتبة جيدة في منزله. وقد نتج عن اهتمام "علي مبارك" بالكتب أن برزت دار الكتب المصرية التي افتتحها و جمع فيها ما تفرق من الكتب و في خزائن المساجد و بيوت العلماء، وأخذت تنمو بالشراء والهبةوالطبع حتى تجاوزت محتوياتها في مراكزها الثلاثة أكثر من مليون و نصف.

و إلى جانب دار الكتب كانت مكتبة الأزهر التي تقدمت في التفسير والحديث على دار الكتب و غيرها من المكتبات العربية و عمدة كل دولة عربية إلى إنشاء دار كتب، ثم اتسع نطاق المكتبات العامة، فصار في كل جامعة مكتبة مركزية و في كل كلية وكل معهد بل في كل مدرسة مكتبة. ذلك أن المكتبات تعد مصدر الغذاء العقلي، فالاهتمام بها والمحافظة عليها و على محتوياتها واجب.و ذلك من أجل توفي الغذاء الفكري لعامة الناس وخاصتهم.

الترجمة

بدأت الترجمة الحديثة في العالم العربي في عهد (محمد علي) ذلك أنه حرص على إيصال علوم الغرب إلى فكر أبناء أمته و ذلك

تاليتمكنوا من استيعاب العلوم التي شاعت في الغرب، وقد ترجم في أيامه كتب كثيرة في الطب والهندسة وشتى العلوم، مثل "روح الاجتماع" و "جوامع الكلم" و نحوها واتصلت الترجمة وأخذت تتسع في كل مكان و بدأت في عهد (إسماعيل) ترجمة الكتب الأدبية ولخاصة القصص والروايات. وكان للمنفموطي إسهام جيد في تلك المترجمات لأنه كان يكل ترجمة بعض الأعمال إلى بعض رفقائه ثم يصوغها صوغاعربياً جميلاً من ذلك "ماجدولين" و"الشاعر" و "في سبيل التاج"أقبل الناس على الترجمة من الإنجليزية، لأنها كانت لغة التدريس في مصر إذ ذلك، ثم كثر المترجمون حتى إن الكتاب "الجيد يترجم أكثر من مرة مثل "ماجدولين" و "البؤساء

المعاجم والمجامع اللغوية

حين بدأت الترجمة في عهد (محمد علي) ظهرت بعض المشكلات أهمها ،الحاجة إلى ألفاظ بديلة لما لم يوجد له مقابل بين أيدي المترجمون ،ولهذا ظهرت معاجم كثيرة عربية و إنجليزية، أو عربية و فرنسية أو عربية و إيطالية، و قد يجمع المعجم الواحد أكثر من لغتين. غير أن كتاب هذه المعاجم كالت تقوم أمامهم صعوبات إذا لم يجدو اللفظ المقابل بين أيديهم، ولذلك نشات الحاجة إلى مجامع لغوية تتولى ،بطريعة سليمة، كالاشتقاق، والنحت وضع الفاظ و مصطلحات أو تعريب اللفظة بعد إخضاع لفظها للسنان العربي بالنقص، أو الزيادة، أو التحريف، فجرت محاولات في مصر لإنشاء مجمع اللغة العربية أكثر من مرة إلا أنه، لا يكاد ينهض حتى يكبو. إلى أن تنبهت الحكومة المصرية فأصدرت قرارها سنة ١٣٥١ هـ بإنشاء مجمع اللغة العربية الذي مازال قائمها حتى الآن، ولكي تضمن الحمومة المصرية نجاحه عمدت إلى تطعيمه بالمختصين في العلوم المختلفة، وجعلت من أعضائه بعض المشرقين، كما فتحت الباب .لإسهام الدول العربية بعضو من كل دولة

ثم أنشئ المجمع العلمي بدمشق، ثم المجمع العلمي ببغداد، وفي زمن ،متأخر أنشأت الأردن مجمعها وأصدر كل مجمع مجلة، ووضعت مصطلحات لبعض الكلمات الأجنبية مثل الدراجة (اللبسكلته) والبهو ،للصالون) والمعطف (للبالكو واختلفوا في بعض المصطلحات) فوضع مجمع اللغة العربية بمصر مسرة (للتلفون)، و وضع له .المجمع العلمي بدمشق (هاتق) لكن جدواها ظلت محدودة